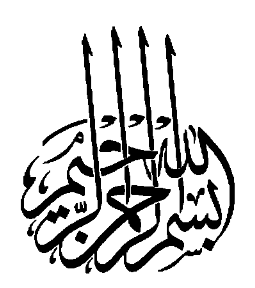


أسرار خلق الإنسان

دار الغوثاني للدراسات القرآنية
دمشق - سورية



سلسلة من أسرار القرآن



أسرار خلق الإنسان

إعداد
عصام عبد الشافي



الموضـــوع : القرآن وعلومه
العنـــوان : سلسلة من أسرار القرآن
تأليـــف : عدة مؤلفين

عدد الصفحـــات : ١٦
قياس الصفحـــات : ١٤ × ٢٠
الرقم التسلسلي : ٨٩
الترقيم الدولي : ISBN 978-9933-403-05-8
التنفيذ الطباعي : مطبعة الغوثاني

الوكـــلاء
سورية - حلب - دار نور الهداية - هاتف : ٠٠٩٦٣٢١٣٢٣٧٣٠٠
سورية - حمص - مكتبة الأنصار - هاتف : ٠٠٩٦٣٣١٢٤٦٧٢٥٥
الأردن - عمان - دار الفاروق - هاتف : ٠٠٩٦٢ ٦٤٦٤٠٠٦٤
لبنان - بيروت - دار البشائر الإسلامية - هاتف : ٠٠٩٦١١٧٠٢٨٥٧
السعودية - الرياض - أيمن عوض - هاتف : ٠٠٩٦٦٥٦٩٨٠١٩٩٤
مصر - القاهرة - دار السلام - هاتف : ٠٠٢٠٢ ٢٧٤١٥٧٨
الجزائر - العاصمة - دار الوعي - هاتف : ٠٠٢١٣٥٤٥١٠١٤
الكويت - العاصمة - بيت المقدس - هاتف : ٠٠٩٦٥ ٢٦١٠٢٧٠
فرنسا - باريس - مكتبة سنا - هاتف : ٠٠٣٣١٤٨٠٥٢٩٢٨

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار الغوثاني للدراسات القرآنية
دمشق : حلبوني - ص ب: ٢٥٢٣٧ - فاكس: ٢٤٥٤٠١٣ (٩٦٣١١+)
هاتف: ٢٤٥٣٦٣٨ (٩٦٣١١+) - جوال: ٠٩٤٤٤٥٣٦٣٨ (٩٦٣١١+)
www.gwthani.com / info@gwthani.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سرُّ نقطة الماءِ

ما أروعَ هَذا البناءَ المحكمَ.. الّذِي صوَّرَهُ اللهُ تَعالَى، فأَحسنَ صُورتَهُ..! انظُرْ إلَيهِ، إنّهُ يتحرَّكُ.. إِنّهُ يَنبضُ بالحياةِ.. إنّهُ إنسانٌ حيٌّ. كانَ هَذا جُزءاً مِنْ حِوارٍ دارَ بينَ نُقطةِ مِياهٍ، وذَرّةِ تُرابٍ.

نظرتْ نُقطةُ الماءِ إلَى ذرّةِ التُّرابِ وقالَتْ: الحَمدُ للهِ الّذِي شرَّفَنِي، فجعلَ مِنّي كلَّ شيْءٍ حيٍّ، فقالَ تَعالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

ولا شكَّ أنَّ مِنْ أفضلِ الكائناتِ الحيّةِ الإنسانُ، وأَنا جُزءٌ مِنْ تَركيبِهِ.

وقِصةُ حياتِي في تَركيبِ الإِنسانِ تَبدأُ عِندَما أكونُ



مَعَ أَخَواتي علَى سَطحِ الأَرضِ .. فِي بِحارِها وأنهارِها وآبارِها ، فيأْتِي الإنسانُ ويَأخذُني بعدَ أنْ أَمُرَّ بمَراحلَ مُتعدِّدةٍ في عمليّةِ التَّكريرِ ؛ حتَّى أُطهَّرَ جيِّداً مِنَ الأَقذارِ ، ثُمَّ يَأكلُني معَ طعامِهِ أَوْ يَشربُني ، وهُنا أَدخلُ مَرحلةً جَديدةً معَ الإِنسانِ أَختلطُ فيها بلحمِهِ وعظمِهِ ، سواءٌ كانَ هذا الإنسانُ ذكَراً أَوْ أُنثَى ، صَغِيراً أَوْ كَبِيراً .

** ** **

سرُّ خلقِ الإنسانِ

قالتْ ذَرةُ التُّرابِ لِنقطةِ الماءِ: إنَّ حياتَكِ تَنتهِي عِندَما تَدخُلِينَ في تَركيبِ جِسمِ الإِنسانِ، أَلَيْسَ كَذلِكَ؟!

قالتْ نُقطةُ الماءِ: لا، بَلْ إنَّ لي دَوراً آخَرَ معَ الإنسانِ، فعِندَما يَتزوَّجُ الرجلُ والمَرأةُ، ويَحدُثُ بينَهُما لِقاءٌ، أَخرُجُ مِنْ صُلبِ الرّجلِ، وأَستقرُّ في رَحِمِ المَرأةِ، فأَبدأُ رِحلةً جَديدةً في بَحرِ الظُّلماتِ الثّلاثِ، وهيَ: ظُلمةُ البَطنِ، وظُلمةُ الرَّحِمِ، وظُلمةُ المَشيمةِ. قالَ اللهُ تَعالَى عَنْها: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ﴾ [الزمر ٦].

وخَلقُ الإنسانِ يَبدأُ مِنْ نُقطةِ الماءِ (المَنيِّ). قالَ تَعالَى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ [الطارق: ٥- ٦].

ومِنْ ماءِ الرَّجلِ تُلقِّحُ بُويضةُ المَرأةِ، وهذِهِ هيَ المَرحلةُ الأُولَى في خَلقِ الإِنسانِ. قالَ تعالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥-٤٦].

وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة:٨]. وقالَ جلَّ شأنُهُ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢].

ثُمَّ تَستقرُّ هذِهِ النُّطفةُ في القَرارِ المَكينِ وهوَ الرَّحِمُ، قالَ تعالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون:١٣].

ثُمَّ تَنمُو هذِهِ النُّطفةُ حتَّى تُصبِحَ مِثلَ قِطعةِ اللَّحمِ الصّغيرةِ المُعلَّقةِ في جِدارِ الرَّحمِ، ولِذلكَ سُمِّيَ الجَنينُ في هذِهِ المَرحلةِ بالعلَقةِ. قالَ تَعالَى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١-٢]. وقالَ تَعالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة: ٣٨]. وبَيَّنَ الرسولُ ﷺ

هذِهِ المَرحلةَ فقالَ: «إنَّ أَحدَكُم يُجمعُ خَلقُه في بَطنِ أُمِّهِ أَربعينَ يَوماً، ثُمَّ يكونُ علقةً مِثلَ ذَلكَ، ثُمَّ يَكونُ مُضغةً مِثلَ ذَلكَ» [البخاري].

وذَكرَ النبيُّ ﷺ في مَراحلِ التَّكوينِ كَلمةَ «مُضغة»، وهيَ قِطعةُ اللَّحمِ المَمضوغِ، أيْ المُقسَّمةِ إلَى أَجزاءٍ في كُتلةٍ واحدةٍ، وبيّنَ اللهُ تَعالَى تِلكَ المَرحلةَ في كِتابِه في قَولِهِ تَعالَى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

وهُما مَرحلتانِ مِن مَراحلِ المُضغةِ، حيثُ تَكونُ أوّلاً غيرَ مُخلَّقةٍ، ثُمَّ يَخلقُ اللهُ فِيها أجهزتَها وأَعضاءَها شَيْئاً فشَيْئاً، ثُمَّ يَخلقُ لِهذِه المُضغةِ هيكلًا عَظْميًّا كامِلاً. قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وبعدَ فترةٍ يَكتمِلُ خَلقُ الجَنينِ فيُصبحُ في أَحسَنِ صُورةٍ، كَما قالَ تَعالَى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣].

أَخذتْ نُقطةُ الماءِ نَفَساً عَميقاً ثُمَّ قالتْ: كلُّ هَذهِ المَعلوماتِ عَنْ خَلقِ الإنسانِ عَرَّفَنَا اللهُ بِها في قُرآنِهِ قبلَ أنْ يَكتشِفَها العِلمُ الحَديثُ. أليسَ هَذا دليلاً علَى صِدقِ الرَّسولِ ﷺ؟!

** ** **

سرُّ الإنسانِ الأوّلِ

قالتْ ذَرّةُ التُّرابِ: لقدْ كنتُ المادّةَ الأُولَى الّتِي خلقَ اللهُ مِنها الإنسانَ الأوّلَ، فآدمُ ـ عليهِ السلامُ ـ خلقَهُ اللهُ تعالَى مِنَ التُّرابِ. قالَ تَعالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وكلُّ بَنِي آدمَ مِن تُرابٍ، وصَدقَ اللهُ القائلُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [غافر: ٦٧].

وكانتْ بِدايَتي معَ الإنسانِ عِندَما أمرَ اللهُ تَعالَى ذرّاتِ التُّرابِ أنْ تَتجمَّعَ، ثُمَّ أمرَ اللهُ الماءَ فاختلطَ بي، فأَصبحتُ طِيناً، ثُمَّ تُرِكتُ فترةً مِنَ الزَّمنِ حتَّى أَصبحتُ حَمَأً مَسنُوناً (أيْ طِيناً أملسَ)، فشكَّلَ اللهُ تَعالَى

مِنِّي آدمَ عليهِ السّلامُ، وبعدَ فَترةٍ أصبحتْ صَلصالًا كالفخّارِ، وعِندَ ذَلكَ نَفخَ اللهُ تَعالَى في صُورةِ آدمَ الرُّوحَ، فتحرّكَ ودَبَّتْ فيهِ الحياةُ.

وقدْ وصفَ اللهُ تَعالَى هذِهِ المراحلَ في كِتابِه فقالَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]. وأكَّدَ النَّبيُّ ﷺ ما جاءَ في القرآنِ فقالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ تَعالَى خلقَ آدمَ مِنْ قَبضةٍ قبَضَها مِنْ جَميعِ الأرضِ، فجاءَ بَنُو آدمَ علَى قدْرِ الأَرضِ، فجاءَ مِنْهُمُ الأحمرُ والأَبيضُ والأَسودُ وبينَ ذَلكَ» [الترمذي].

وبيَّنَ النَّبيُّ ﷺ مَراحلَ خَلْقِ آدمَ فقالَ: «إنَّ اللهَ خلَقَ آدمَ مِنْ تُرابٍ، فجعَلَهُ طِيناً، ثُمَّ تركَهُ حتَّى إِذا كانَ حَمَأً مَسْنُوناً خلقَهُ وصوَّرَه، ثُمَّ تركَهُ حتَّى إِذا كانَ صَلصالًا كالفَخّارِ، كانَ إِبليسُ يَمُرُّ بِه فيقولُ: لقدْ

خُلقتَ لأمرٍ عَظيمٍ! ثُمَّ نَفخَ اللهُ فيهِ مِنْ رُوحِه. وإنَّ أوّلَ ما جرَى فيهِ الرُّوحُ بصرُه وخياشِيمُه، فعَطسَ فقالَ: الحَمدُ للهِ. فقالَ اللهُ: «يَرْحَمُكَ رَبُّكَ» [البخاري].

** ** **

سرُّ النّفسِ الإنسانيّةِ

القلبُ عُضوٌ مُهمٌّ مِنْ أَعضاءِ جِسمِ الإِنسانِ، ومعَ أنّـهُ يُؤدِّي وظيفتَه بِكفاءَةٍ، حيثُ يَنقلُ الدَّمَ النقيَّ إلَى أجزاءِ الجسمِ، فإنّـهُ كَثيراً ما يَضطرِبُ مِنْ تصرُّفاتِ الإِنسانِ.

ها هُوَ يَشكُو لَنا مِنَ الِانفعالاتِ النَّفسيّةِ لِلإنسانِ.. تُرَى ماذا يَقولُ؟

أَنا حزينٌ جِدًّا بسبَبِ الإِنسانِ، فهُوَ كَثيراً ما يُعرِّضُني للتَّعبِ. وسأَقُصُّ علَيْكُمُ الآنَ ماذا يَحدثُ لي عندَما ينفعلُ الإنسانُ، فإنَّني أَضطربُ، وهَذا يَجعلُني أُسرِعُ مِنْ دَقّاتِي.. لا شكَّ أنَّ الخوفَ أحدُ الِانفعالاتِ المُهمّةِ لِلإنسانِ، حيثُ يُساعِدُهُ علَى اتِّقاءِ الأَخطارِ الَّتِي تُهدِّدُهُ، وهَذا يَجعلُ الإنسانَ يَحذرُ ممّا يَخافُه ويتَّقِي عَواقبَهُ.

والمؤمنُ حِينَما يَخافُ مِنَ اللهِ يتجنّبُ المَعاصيَ، ويَطلبُ رِضا اللهِ. قالَ تَعالَى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦]. والإنسانُ يَخافُ مِنْ أشياءَ كثيرةٍ؛ فهُوَ يَخافُ مِنَ اللهِ، ويَخافُ مِنَ المَوتِ، ويَخافُ مِنَ الفَقرِ.

ومعَ أنَّ القرآنَ قدْ بيَّنَ لِلإنسانِ هذِه الانفعالاتِ النَّفسيّةَ، وكَيفَ يُعالجُها، ويُسيطرُ علَيْها قبلَ أنْ يَهتديَ إلَيْها عُلماءُ النَّفسِ بِقرونٍ، إلّا أنَّ كَثيراً مِنَ النّاسِ نَراهُمْ يُعرضُونَ عَنْ كِتابِ اللهِ تَعالَى!

ومِنْ أَنواعِ الخَوفِ الّتي ورَدتْ في القُرآنِ الكَريمِ:

- الخوفُ مِنَ المَوتِ، قالَ تَعالَى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

- الخوفُ مِنَ الفَقرِ، قالَ تعالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم

﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وأَنا ـ القلبُ ـ بِدَوري أَتأَثَّرُ مِنْ هَذهِ الاِنفعالاتِ، فإِذا خافَ الإنسانُ حَدثتْ له تَغيُّراتٌ بَدَنيّةٌ كثيرةٌ، مِثلُ اتِّساعِ حدَقةِ العَينِ، وانتِصابِ شعرِ الرَّأسِ وشعرِ الجِلدِ، فيَشعرُ الإنسانُ بالقُشَعْريرةِ.

والأهمُّ مِنْ كلِّ ذَلكَ هوَ ما يُصيبُني ـ أَنا القلبَ ـ مِنْ هَذا الاِنفعالِ، حيثُ يَحدثُ لي خَفقانٌ شديدٌ يُؤدِّي إِلَى كَثرةِ تدفُّقِ الدَّمِ إِلَيَّ، ممّا يَزيدُ مِنْ حَجمِي، ويَجعلُني قَريباً مِنَ القصَبةِ الهَوائيّةِ، قالَ تَعالَى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠].

فالآيةُ تُبيِّنُ حالةَ الخَوفِ الّذِي انتابَ المُسلِمينَ أَثناءَ مَوقِعةِ الخَندقِ.

أرأيتَ أيُّها الإنسانُ كيفَ اهتمَّ القُرآنُ بِانفعالاتِكَ وسجَّلَهَا لكَ قَبلَ أنْ يَعرِفَها عُلماءُ النَّفسِ بمِئاتِ السِّنينِ؟ فما أَعظمَ خالقَ الإِنسانِ، مُنزلَ القُرآنِ!

** ** **

سلسلة من أسرار القرآن

١. أسرار الأرض
٢. أسرار الفضاء
٣. أسرار الحشرات
٤. أسرار النبات
٥. أسرار خلق الإنسان



